Bible Study

The Book of Genesis

Chapter 19

سفر التكوين - الاصحاح التاسع عشر

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الاصحاح التاسع عشر: حرق سدوم ونجاة لوط

"فجاء الملاكان إلى سدوم مساءً، وكان لوط جالسًا في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض. وقال: يا سيدي ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما، ثم تبكران وتذهبان في طريقكما، فقالا لا بل في الساحة نبيت. فألح عليهما جدًا، فمالا إليه ودخلا بيته، فصنع لهما ضيافة وخبز فطيرًا فأكلا" [1 - 3]

- لا يستطيع أحد أن يتجاهل ما أتسم به لوط من حياة إيمانية وفضائل وإن كان قد تصاغر جدًا أمام رجل الإيمان إبراهيم. فإن كان لوط يمثل عهد الناموس فإن إبراهيم يمثل عهد النعمة. ولنقدم هنا مقارنة بين ما ورد في الأصحاح السابق عن استضافة إبراهيم للرب وملاكيه وما ورد هنا عن استضافة لوط للملاكين:

- **أولاً:** كان إبراهيم ذا نفس كبيرة تأهل بالإيمان الحيّ أن يستضيف كلمة الله وملاكيه وقت الظهيرة وكأنه برجال العهد الجديد الذين التقوا مع المخلص عند الصليب (وقت الظهيرة) ليروا السماء مفتوحة والمصالحة قد تمت بين الأرضيين والسمائيين، وأما لوط فبضعف إيمانه، وليس بعدم إيمانه، بالكاد التقى به ملاكان وقت المساء ليخلصاه من الدمار الذي كان يلحق بالمدينة التي اختارها مسكنًا له ولعائلته.

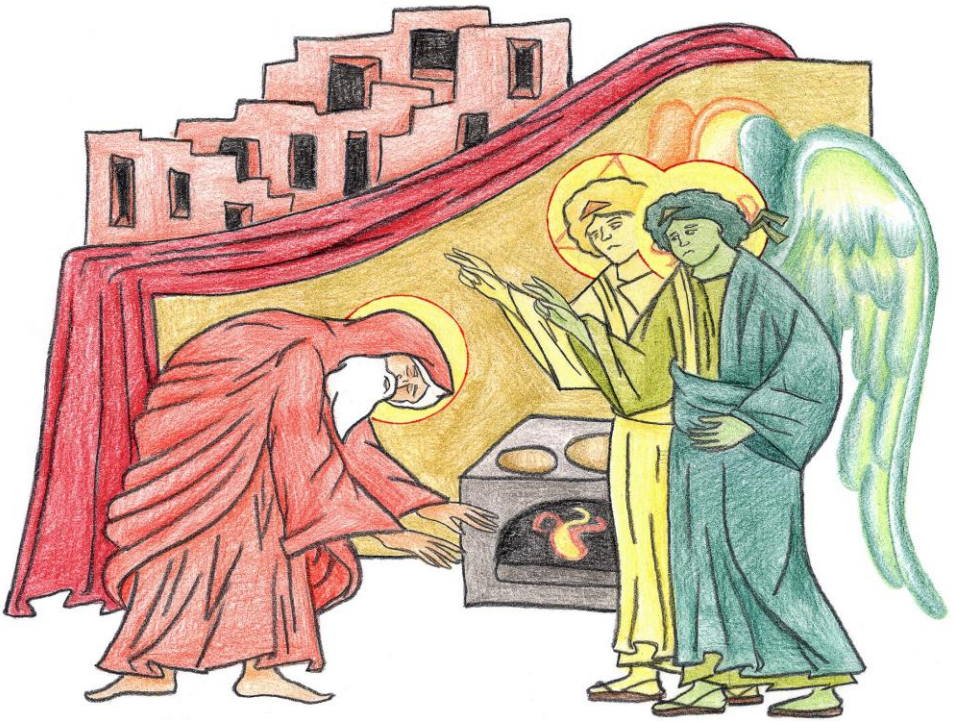

- يقول العلامة أوريجانوس: [جاء ثلاثة رجال لإبراهيم وسط النهار (18: 1)، وجاء اثنان للوط في المساء (19: 1)، إذ لم يكن ممكنًا للوط أن يحصل على ملء نور الظهيرة، أما إبراهيم فكان قادرًا على التمتع ببهاء النور... لاحظوا بالنسبة لإبراهيم جاء الرب مع الملاكين أما بالنسبة للوط فلم يجد إلاَّ ملاكان. لوط استقبل المدمّرين (19: 13) لا المخلص، أما إبراهيم فاستقبل المخلص والمدمر معًا].

- اقتبس الأب قيصريوس بعض عبارات العلامة أوريجانوس، فقال:
[لم يكن لوط قادرًا أن يحتمل قوة شمس الظهيرة، أما إبراهيم فاستطاع أن يقف في كمال البهاء].

- لم يقلل الآباء من قدر لوط، فهو مع تصاغره أمام إبراهيم كان يحمل بعضًا من فضائله وكما يقول القديس أمبروسيوس: [كان لوط ابن أخ إبراهيم قريبًا منه لا خلال قرابة الجسد فحسب وإنما خلال الفضيلة أيضًا. فبسبب استعداده لاستضافة الغرباء خلص هو وعائلته من العقوبة التي حلت بسدوم].

- وفي تعليق للقديس يوحنا الذهبي الفم عن استضافة لوط للملاكين، قال:
[قاد الملائكة لتنزل للبشرية والبشر ليرتفعوا إليهم].

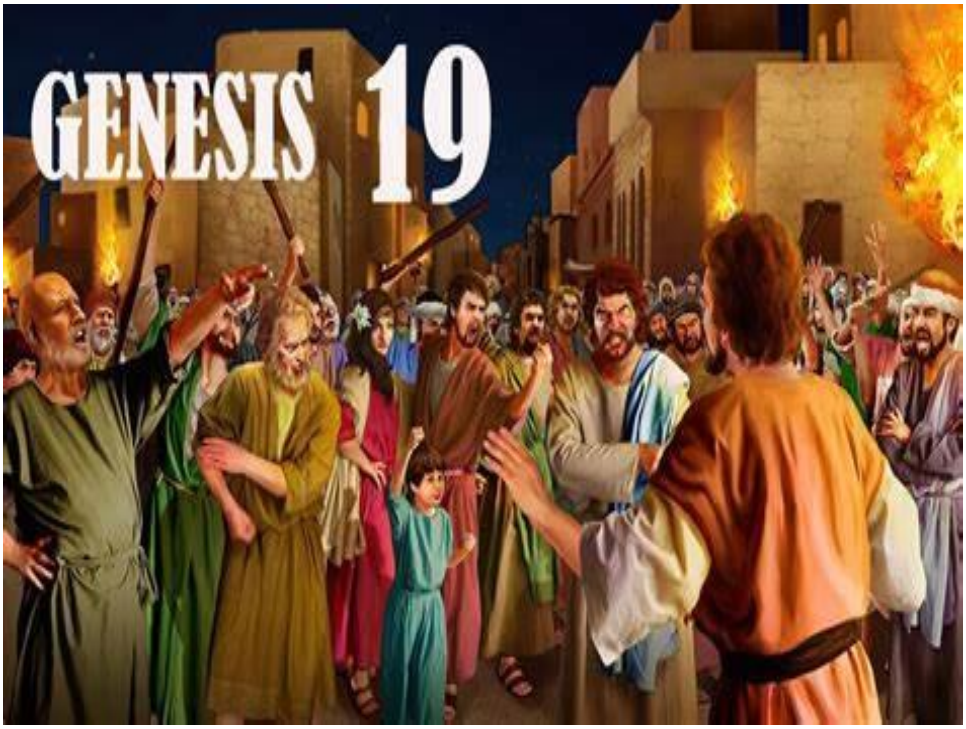

"وقبلما اضطجعا، أحاط بالبيت رجال المدينة، رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ، كل الشعب من أقصاها. فنادوا لوطًا وقالوا له: أين الرجلان اللذان دخلا إليك الليلة؟ أخرجهما إلينا لنعرفهما. فخرج إليهم لوط إلى الباب وأغلق الباب وراءه. وقال لا تفعلوا شرًا يا إخوتي. هوذا لي ابنتان لم تعرفا رجلاً، أخرجهما إليكم فافعلوا بهما كما يحسن في عيونكم وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئًا لأنهما قد دخلا تحت ظل سقفي. فقالوا: أبعد إلى هناك، ثم قالوا جاء هذا الإنسان ليتغرب وهو يحكم حكمًا! الآن نفعل بك شراً أكثر منهما، فألحوا على الرجل لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب" [4 - 9]

- لا يستطيع أحد أن يتجاهل ما أتسم به لوط من حياة إيمانية وفضائل وإن كان قد تصاغر جدًا أمام رجل الإيمان إبراهيم... فإن كان لوط يمثل عهد الناموس فإن إبراهيم يمثل عهد النعمة. يليق بنا أن نقدم مقارنه بين ما ورد في الأصحاح السابق عن استضافة إبراهيم للرب وملاكيه وما ورد هنا عن استضافة لوط للملاكين. ونري أولاً أن إبراهيم كان ذا نفس كبيرة فتأهل بالإيمان الحيّ أن يستضيف كلمة الله وملاكيه وقت الظهيرة وكأنه برجال العهد الجديد الذين التقوا مع المخلص عند الصليب قد عاينوا المصالحة بين الأرضيين والسمائيين.

"فمد الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب. وأما الرجال الذين على باب البيت، فضرباهم بالعمى، من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن أن يجدوا الباب" [10 - 11]

- لا يستطيع أحد أن يتجاهل ما أتسم به لوط من حياة إيمانية وفضائل وإن كان قد تصاغر جدًا أمام رجل الإيمان إبراهيم.
- فإن كان لوط يمثل عهد الناموس فإن إبراهيم يمثل عهد النعمة. يليق بنا أن نقدم مقارنه بين ما ورد في الأصحاح السابق عن استضافة إبراهيم للرب وملاكيه وما ورد هنا عن استضافة لوط للملاكين.
- - وأما لوط فبضعف إيمانه وليس بعدم إيمانه بالكاد التقى به ملاكان وقت المساء ليخلصاه من الدمار الذي كان يلحق بالمدينة التي اختارها مسكنًا له ولعائلته.
- **ثانيًا**: إذ يقارن الأب قيصريوس بين وليمة إبراهيم ووليمة لوط يقول أن ثلاثة رجال جاءوا إلى إبراهيم **"وقفوا لديه" (18: 2)**، أما بالنسبة للوط فجاء الرجلان ووقفا في الطريق.

- يمكننا القول بأن الرب وملاكيه وقفا لدى إبراهيم بجوار خيمته، أو قل كان رب السماء وجنوده قد وجدوا في إبراهيم حياة سماوية فحلّوا لديه، أما بالنسبة للوط فالتقوا به وهو جالس **"في باب سدوم"** أي في مدخل المدينة.

- ليتنا نكون كأبينا إبراهيم نتأهل أن نلتقي بالرب وطغماته لا عند مدخل المدينة كلوط، وإنما في أعماقنا الداخلية بكونها سمواته المحبوبة لديه.

- **ثالثًا:** شتان ما بين إبراهيم ولوط، الأول إذ طلب من الرب وملاكيه أن يستضيفهم، قالوا في الحال: **"هكذا تفعل كما تكلمت" (18: 5)**، أما الثاني فقد ألح على الملاكين جدًا وإذ كانا يريدان أن يبيتا في الساحة أي الميدان العام كغريبين ليس لهما من يستضيفهما، **قبلا أن يميلا إليه ويدخلا بيته (19: 3).**

- حاول لوط أن يحمى ضيفيه فطلب أن يُخرِج لهم ابنتيه يفعلون بهما ما يشاءون، ربما لأجل تخجيلهم. وإذ أصر الكل على إخراج الرجلين، مدّ الرجلان أيديهما وأدخلا لوطًا إليهما إلى البيت وأغلقا الباب، **وضربا الرجال الواقفين بالعمى فلم يستطيعوا أن يجدوا الباب (19: 11).**

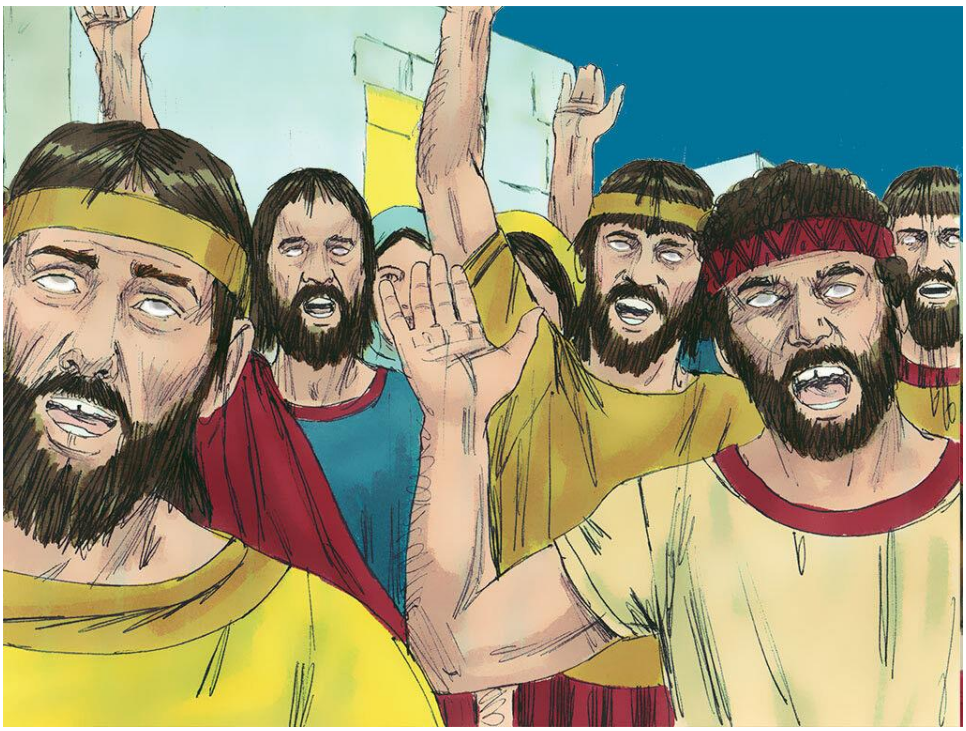

- **رابعًا**: عَرِف إبراهيم سرّ الثالوث القدوس فلم يلتق فقط بثلاثة رجال وإنما طلب من سارة أن تسرع بثلاث كيلات دقيق سميذ وكأنه يطلب من الكنيسة أن يتمتع أولادها بالإيمان بالثالوث القدوس حتى يستحقوا كثلاث كيلات دقيق فاخر أن يصيروا خبزًا سماويًا ويمتلئوا "بالإيمان والرجاء والمحبة".
- **خامسًا**: انتهى لقاء إبراهيم بنوال البركة مع سارة إذ وعدهما الرب بابن لهما، أما اللقاء مع لوط فانتهى بالكاد بخلاص لوط وابنتيه دون زوجته. الأول نال وعدًا أن يتمتع نسله بأرض الموعد، أما الثاني فخرج من المدينة فارغ اليدين، لا يعرف له مأوى!
- **سادسًا**: في هذا اللقاء وقف إبراهيم بدالة كشفيع عن الآخرين، أهل سدوم وعمورة، أما لوط فكان يتوسل لأجل نفسه وابنتيه لعله يسمح لهما الملاكان بالسكنى في مدينة صوغر.
- إذ استضاف لوط الرجلين (الملاكين) أحاط رجال المدينة من أحداث وشيوخ يطلبونهم ليعرفونهم، أي يصنعوا بهم قباحة وشرًا...صورة تكشف عن مدى ما وصل إليه الشعب كله من نجاسة مع جسارة مرة، حتى صارت هذه الخطية تنسب إليهم إذ تدعى بالسدومية، نسبة إلى سدوم مدينتهم.

- إن كان لوط قد اتسم بحب الضيافة، وفي نضوج أصر ألا يسلم الرجلين للشر، لكنه يُلام على عرضه أن يسلم ابنتيه فدية للضيفين... على أي الأحوال تطلع الله إلى قلب لوط محب الغرباء، فلم يترك لوطًا يحفظ الغريبان إنما قام الغريبان بحفظه وأهل بيته من الأشرار. لم نسمع عن هياج حدث عن ظهور الرب وملاكيه لإبراهيم، لأن إبراهيم يمثل عهد النعمة أما لوط فيمثل السقوط تحت الناموس. الأول ينعم بلقاء مفرح مع الله فيه ترتفع النفس فوق كل الآلام وتتمتع بحياة على مستوى سماوي، أما الثاني فيدخل في صراع مر وضيق ويعرض طاقاته ومواهبه (البنتان) للفساد، لكنه حتى في عهد الناموس تدخلت السماء ودخلت بالإنسان إلى بيته لتغلق عليه من الأشرار. الأول جلب لجسده سارة - ضحكًا أو فرحًا روحيًا في الرب، أما الثاني فدخل في مرارة نفس.

"وقال الرجلان للوط: من لك أيضًا ههنا؟ اصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من المكان. لأننا مهلكان هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه. فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال: قوموا أخرجوا من هذا المكان لأن الرب مهلك المدينة، فكان كمازح في أعين أصهاره" [12 - 14]

"ولما طلع الفجر، كان الملاكان يعجلان لوطًا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة. ولما توانى، أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة" [15 - 16]

- أخيرًا إن كان الله قد حكم على سدوم وعمورة بالإبادة، فإنه فعل هذا بعدما قال: "أنزل وأرى" (18: 21)، وكأنه حكم بتدقيق شديد، ولعله سمح بوجود لوط في وسطهم لكي يكون لهم مثلاً حيًا عمليًا وشاهدًا عليهم، والآن إذ جاء الملاكان وأساء الشعب التصرف معهما لم يعد لهم عذرا!
- إن كان إبراهيم في حواره مع الله قال: "أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟!" (18: 25)، فقد أظهر الله عدله ومحبته. فأرسل ملاكيه يشهدان على شرهم وينقذان لوطًا وعائلته فلا يهلك البار مع الأثيم.
- أعلن الملاكان خطة الله الخلاصية وطلبا من لوط أن يخرج ومعه زوجته وابنتاه وأصهاره، لكنه كان "كمازح في أعين أصهاره" [14].
- كان يمكن لأصهاره أن يخلصوا حتى في اللحظات الأخيرة لكنه في كل جيل يرى الأشرار في إنذارات الله هزلاً ومزاجًا، يستخفون بها.

- أخيرًا إذ طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطًا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة... كانت دعوة الملاكين له في الفجر "قم".
- وكأنها دعوة السماء لنا أن نقوم مع السيد المسيح القائم من الأموات في فجر الأحد، تقوم نفوسنا ومعها أجسادنا (امرأته) وأيضًا تقوم طاقاتنا ومواهبنا (ابنتاه) بتقديسها في الرب.

"وكان لما أخرجاهم إلى خارج، إنه قال: اهرب لحياتك، لا تنظر إلى ورائك ولا تقف في كل الدائرة، اهرب إلى الجبل لئلا تهلك. فقال لهما لوط: لا يا سيد. هوذا عبدك قد وجد نعمة في عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت إليَّ باستبقاء نفسي وأنا لا أقدر أن أهرب إلى الجبل لعل الشر يدركني فأموت. هوذا المدينة هذه قريبة للهرب إليها وهي صغيرة، أهرب إلى هناك، أليست هي صغيرة فتحيا نفسي. فقال له: إني قد رفعت وجهك في هذا الأمر أيضًا أن لا أقلب المدينة التي تكلمت عنها. أسرع، إهرب إلى هناك لأني لا أستطيع أن أفعل شيئًا حتى تجيء إلى هناك، لذلك دعي اسم المدينة صوغر" [17 - 22]

- كان لوط متوانيًا أو متباطئًا ربما بسبب بناته المتزوجات ورجالهن وبسبب بيته وممتلكاته... لكن الملاكين أخرجاه مع زوجته خارج المدينة وسألاهم أن يهربوا لحياتهم.

- لقد طلب الملاكان من لوط أن يهرب إلى الجبل، لكنه لم يكن قادرًا على الانطلاق إلى الجبل فسأل أن يهرب إلى مدينة صغيرة قريبة منه دعيت صوغر، لأنها كانت أصغر مدن الدائرة، وقد كان اسمها قبلاً "بالع"، يغلب أنها على الشاطئ الشرقي لبحيرة لوط.

- لقد قبل الله طلبه ولم يلزمه بالذهاب إلى الجبل بل إلى مدينة صوغر، لكن لوطًا فقد في هذا الكثير! الله يريدنا أن نهرب إلى الجبل المقدس، لنرفع بروحه القدوس إلى القمم العالية، ونحن في ضعفنا نكتفي بصوغر!

- يتحدث القديس جيروم عن صوغر التي اختارها لوط لنفسه، فيقول: [دُعيت صوغر بسبب الإيمان الصغير الذي كان للوط. فإنه وإن كان قد عجز عن إنقاذ الأماكن العظيمة لكنه على الأقل حفظ الأماكن الصغيرة. فإن الذي ذهب بعيدًا ليعيش في عمورة لم يستطيع أن يبلغ إلى أرض الظهيرة التي بلغها إبراهيم خليل الله (يعقوب 2: 23) وصديق ملائكته (تكوين 18: 1)].

- لعل القديس جيروم قد تأثر بكلمات العلامة أوريجانوس في عظته الخامسة على سفر التكوين:

[لم يكن لوط قادرًا قط على السكنى في المرتفعات مع إبراهيم].

- ما هو هذا الجبل المقدس الذي نهرب إليه لحياتنا إلاَّ الكتاب المقدس، فيه نجد حصنًا منيعًا ضد هجمات العدو الشرير إبليس؟! لهذا السبب عندما اجتاز السيد المسيح التجربة على الجبل لحسابنا وكمثال لنا، كان يصد كل هجوم شيطاني بعبارات من الكتاب المقدس، وكأنها بالجبل المقدس الذي يرفعنا إليه فلا يقدر العدو بحيله أن يتسلق إلينا. والجبل أيضًا يشير إلى كلمة الله ذاته الذي تحدث عنه دانيال النبي: "قُطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما... أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيرًا وملأ الأرض كلها" (دانيال 2: 34، 35). فالسيد المسيح - كلمة الله - هو الحجر الذي قطع بغير يدين، إذ هو ليس من زرع بشر، يقدر أن يسحق تمثال الشر القائم في أعماقنا، وإذ يحتل أرضنا الداخلية يملأها كجبل عظيم يملأ القلب كله.

"وإذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر. فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عند الرب من السماء" [23 - 24]

- ما أن أشرقت الشمس على الأرض حتى دخل لوط إلى صوغر، فإن كانت صوغر تعنى (صغير)، فإننا لا نستطيع أن ننعم بروح الاتضاع ونشعر بحجمنا كأحد الأصاغر ما لم يشرق شمس البر على أرضنا الداخلية، ويعلن ملكوت اتضاعه ومحبته فينا.

"وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الارض. ونظرت امرأته من وراءه فصارت عمود ملح" [25 - 26]

- والعجيب أن الله لم يمطر على سدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من عنده إلاَّ بعد دخول لوط إلى صوغر... إذ كان حريصًا كل الحرص على لوط كإنسان بار.

- يظهر هنا سر التثليث بالقول: "أمطر الرب... من عند الرب"، كأن الابن الكلمة أمطر من عند الآب. وتأمل الكثير من الآباء عن كيف صارت امرأة لوط عمود ملح. فيقول القديس جيروم [إذ نظرت إلى الوراء صارت نصبًا تذكاريًا للنفس غير المؤمنة].

- ويقول القديس أمبروسيوس [فقدت امرأة لوط طبيعتها ذاتها لأنها تطلعت إلى الوراء، تطلعت إلى ما هو دنس ولو بعينين نقيتين].

- ويقول القديس كبريانوس [ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لوقا 9: 62). امرأة لوط عندما خلصت نظرت إلى الوراء مخالفة للوصية ففقدت ما انتفعت به من هروبها. ليتنا لا نتطلع إلى الوراء حيث يدعونا الشيطان للتراجع، إنما ننظر إلى ما هو قدام حيث يدعونا المسيح. لنرفع أعيننا إلى السماء لئلا تخدعنا الأرض بمباهجها وباغراءاتها].

"وبكر إبراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب. وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون. وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة أن الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطًا من وسط الانقلاب حين قلب المدن التي سكن فيها لوط" [27 - 29]

- بالأمس تمتع إبراهيم باستضافة الرب وملاكيه ونال وعدًا بإنجاب ابن، الأمر الذي لم يشغله عن الشفاعة عن سدوم وعمورة، إذ هو صاحب القلب الكبير الأبوي لا يطلب ما لنفسه بل ما للآخرين. وفي شفاعته التزم بالجانب الموضوعي فلم يشفع عن أقربائه "ولوط وعائلته" بل عن الدائرة كلها. ويبدو أن الأمر قد شغل فكره طول الليل... لذا بكر ليقف في ذات الموضع الذي التقى فيه أمام الرب لينظر نحو سدوم وعمورة. لم ينطق إبراهيم بكلمة بخصوص لوط وعائلته لكن كان يتكلم بقلبه وفكره وعواطفه وأحاسيسه التي لا يسمعها إلاَّ الرب نفسه، وقد استجاب له، إذ يقول: "الله ذكر إبراهيم وأرسل لوطًا من وسط الانقلاب"، وكأن ما قد تمتع به لوط كان بسبب إبراهيم!! النفس الكبيرة في عيني الله تظلل على النفوس الصغيرة بالحب، والصلاة وتنهدات القلب الخفية، وتكون سرّ بركة لها. نذكر على سبيل المثال نفس يوسف العبد الشاب، كانت في عيني الله عظيمة ومباركة بسببها بارك حتى بيت فوطيفار المصري، "وكان بركة الرب على كل ما كان له في البيت وفي الحقل" (تكوين 39: 5). إنها ليست بركة إبراهيم في ذاته ولا يوسف في ذاته إنما هي بركة الرب التي تملأ القلب!

"وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة ودخلت البكر وأضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرًا الليلة أيضًا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرًا في تلك الليلة أيضًا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنًا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضًا ولدت ابنًا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم"

[38 - 30]

- يختم الكتاب المقدس آخر فصل عن حياة لوط بحدث مؤلم للغاية، هو ثمرة طبيعية اجتناها لوط من الزرع الذي غرسه، فقد اختار سدوم مسكنًا له فشربت بنتاه من أهلها روح الشر.

- إن كان كنعان قد سقط تحت اللعنة لأنه سخر بنوح عندما سكر فتعرى، فإن ابتني لوط قد اسكرتا والدهما لا ليتعرى فحسب وإنما لتنجبا منه نسلاً.

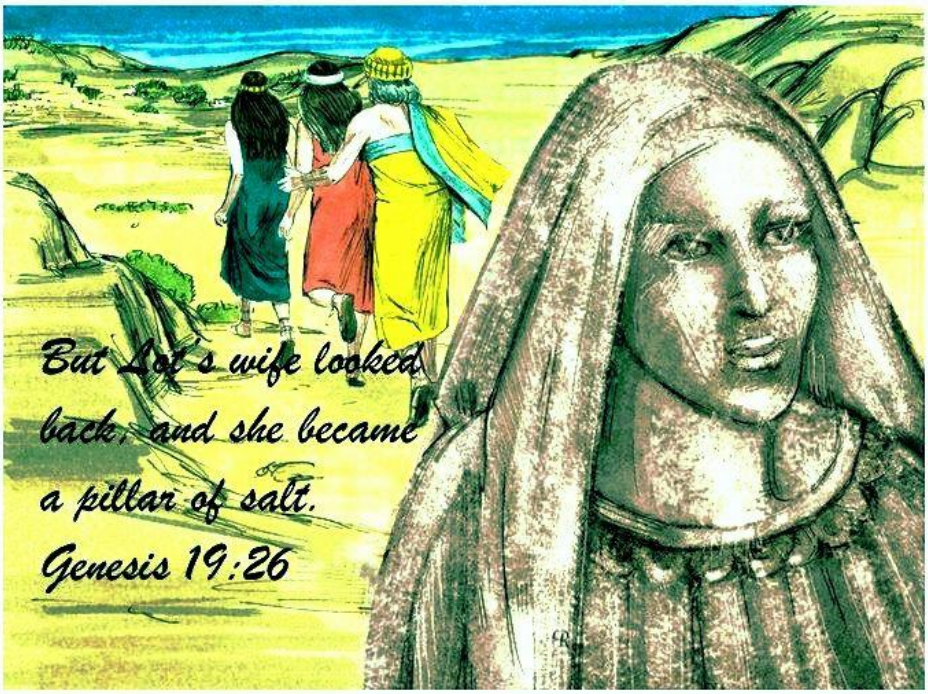
But Lot's wife looked
back, and she became
a pillar of salt.
Genesis 19:26

وقال الله ليكن
نور فكان نور
(تكوين 1: 3)
God said,
"Let there be light"; and there was light (Genesis 1: 3)